

الأستراتيجيات القتالة. Deadly Strategies.

تمت عودة الدامور في ظل إتفاق الطائف. وأختفت فجأة القضية التي كانت تجمع أبناءها، ألا وهي العودة المنتصرة. عادت الـ دامور في ظل وزارة المهجرين، ووضع أمنيّ متردٍ وحالة اقتصادية منهارة لم يقنعا الكثيرين من أبنائها في الأستثمار بهذه العودة، وعلى الساحة السياسية عادت الـ دامور في ظل توازن قوى شبيه الى حدٍ كبير بالتوازن الذي كان متواجداً قبل التهجير.

منذ سنة ١٩٩٢ وحتى تاريخ الأنتخابات الماضية إتبعَت القوى السياسية في الـ دامور سياسة الإبقاء على الوضعين الإنمائي والإجتماعي فيها على حاله بدون تغيير. الواضح لكل داموري هو أن العودة لم تكتمل. شريحة كبيرة من الـ داموريين لم يؤمنوا بالعودة أو بتوافر شروطها، فمنهم من هو بالإغتراب والقسم الأخر إستقر خارج بلدتهم ويفتقرون للأماكنيات، ومنهم من يعتقدون بأن الـ دامور ليست مكاناً للأستثمار في مستقبلهم؟ وكل ما هم بحاجة اليه تؤمنه لهم القوى السياسية المتواجدة في البلدة.

توافقت القوى السياسية المتواجدة في البلدة على إبقاء الوضع الإنمائي والإجتماعي كما هو، لأن هذه المراوحة خدمت إستراتيجياتهم (ولا تزال تخدمها) للمحافظة على السلطة، وأصبحوا قوة مركزية صعبة المراس، منظمة قادرة على تحريك القاعدة وفقاً لمصالحها،

طيلة عشرون سنة، لا مجتمع مدني في الـ دامور، ولا حركة ثقافية او رياضية، ولا سياسة (بالمعنى الحقيقي للكلمة، ما خلا بعض المحاولات الخجولة) للتحفيز على العودة، فضلاً عن إحباط على مستويات عدة، وخاصة في ظل غياب رؤية إنمائية تستقطب أبناء البلدة أو مسيحيي الجوار.

هذه الأستراتيجية التي إستخدمتها السلطة مدة قاربت العشرين سنة أصبحت قاتلة للمجتمع الـ داموري وخاصة لأحلام الـ داموريين وخلقت في المجتمع الـ داموري رغبة جامحة في التغيير من جهة، وشعوراً بالإحباط لأن الـ دامور عاجزة على العودة إلى الإرتقاء إلى مستوى تاريخها الإجتماعي والثقافي مجدداً.

بالمقابل، برزت معارضةً اعتبرت أنها قادرة على إزاحة السلطة فقط عبر ركب موجة التغيير، إلا أنها اتبعت إستراتيجية قتلت رغبة التغيير هذه، لأنها لم تلب حاجة الناخب الـ داموري الى شعور بالأمان وهذه الحاجة تطغى على رغبته في التغيير.

خلال حربها مع السلطة خالفت المعارضة معظم المبادئ، إن لم تكن كلها، أي تلك التي يقوم عليها فعل الأختيار أياً كان هذا الأختيار.

يقول الباحثون بأن العقل البشري يكره التشويش الفكري (La confusion)، يكره الضياع. هذا ما وقع عندما أطلت المعارضة برأسها في الساحة الـ دامورية، وساهمت بالتالي بشكلٍ أو بآخر بتعقيد الأمور، ولم تُعرَف عن نفسها ولم تتعاط بشكل سهل مع أفراد المجتمع الـ داموري؛ وبما أنّ

العقل البشري يتجه دائماً الى ما هو سهل ولا يحب التعقيدات، لم تقدم المعارضة للناخب الداموري نظرة سهلة لمقاربة الأمور.

الأمر الثاني الذي لم تأخذه المعارضة بعين الاعتبار، هو أن العقل البشري يخاف، والباحثون في علم التسويق يردون ذلك الى (Sentiment d'insécurité) الشعور بعدم الأمان، فالمعارضة لم تتمكن من إعطاء الأمان الى أفراد مجتمعنا.

أخطأت المعارضة باعتبارها أن حاجة التغيير وحدها كافية لقلب السلطة، يقول الدكتور أرنتس ديشتر ما يلي:

Bon nombre de nos actions sont motivés par un conflit entre le besoin de sécurité et désir et de changement, ce dernier se trouvant souvent est souvent associés par un sentiment d'insécurité.

لم تؤمن المعارضة للناخب الداموري هذا الأحساس بالأمان، بل على العكس، ما فعلته في الآونة الأخيرة، يظهر مدى جهلها لحاجات الناخب الداموري، وهنا أيضاً كان تموضع السلطة سهلاً جداً، فتسعون بالمئة ٩٠% من أهل الدامور يريدون أولاً رؤية الدامور نظيفة، ولا يعطون لموضوع البيئة، الأهمية التي تستحقه. إذ لا يريد الفرد الداموري أن يدخل نفسه في هذه التعقيدات، خاصة أن هذه المعضلة هي معضلة قضاء الشوف أكثر ممّا هي معضلة بلدة الدامور.

أخيراً وليس آخراً، لا يجب تجاهل عنصر العادات، التي من الصعب جداً تغييرها. وخصوصاً في القرى وبين العائلات، ولا يمكن التعاطي معه بخفة؛ وهذا ما لم تأخذه المعارضة أيضاً بحساباتها، هو مبدأ البرهان الاجتماعي Principe de la preuve sociale يقول Robert cialdino أن البرهان كتجربة مجتمعية هي حجة قوية، تدفع المجتمع أو الفرد الى المضي قدماً باتجاه الجماعة، خاصة أن تجربة الأجيال السابقة تشكل شهادة على أن السلطة الحالية أعطت سابقاً ما كان المؤيدون يطلبونه، علماً بأنّ هذه الشهادة تنتقل من جيل الى جيل، وتشكل حاجزاً أمام التغيير، فالإنسان عندما يعطي شهادة ما تؤثر بصورة مباشرة على الشعور بالأمان أو بعدمه

Le témoignage attaque le sentiment d'Insécurité du prospect sur trois fronts affectifs à la fois : la jalousie, la vanité et la peur de se trouver dépassé.

من جهة أخرى، تتبع السلطة مصداقية معينة مع العائلات التي تشكل قاعدتها الثابتة، فلا تغير في اسلوب تعاطيها معها، مما يعزز الأحساس بالأمان لدى كل فرد منها.

ما تجهله المعارضة، ويأخذ الحيز الأكبر من الأبحاث، هو أن العقل البشري عصي على التغيير، ويقول جاكتروت في كتابه عن التموضع: عندما يكون الإنسان فكرة ما لا تحاول حتى أن تغيرها.

بعد ثمانين (٨٠) عاماً كوّن المجتمع الداموري فكرة سهلة حول السلطة ومن يمارسها وهي أنهم أشخاص يمكن التحدث إليهم والتقرب منهم وطلب كل شيء منهم، الأمر الذي كوّن فكرة بأنهم قادرون على التحكم بزمام الأمور وبأنهم هنا لخدمة المجتمع الداموري، هذه الفكرة عصبية على التغيير، ومهما أردتم أن تتكلموا عن البيئة والفساد وعن ما هنالك من تجاوزات، فإن الفرد

الداموري لا يحفل بهذه الأمور بل لديه فكرة واحدة هي أن السلطة الحالية تخدمهم وهذا كفيل بإبقائهم فيها لسنوات طويلة وطويلة...

لماذا العقل البشري عصي على التغيير، لأن الفرد يفضل ما يعرفه وأنه من الصعب جداً تغيير عادات الفرد.

Le manuel hand book of social psychology: définit la difficulté de changer les habitudes.

أو يسطّر مدى صعوبة تغيير عادات الفرد أو قناعاته بما يلي:

Tout programmes visant a modifié les attitudes se heurtent à des problèmes redoutables même au moyen d'une procédure aussi complexe est intense que la psychothérapie, il est difficile de faire évoluer les convictions profondes. Par ailleurs si certaines procédures se révèlent efficaces pour modifier certains attitudes, elles ont peu d'effets sur les autres.

إذاً بالنسبة الى كل كتب التسويق وكل الأبحاث المتعلقة بالتغيير الاجتماعي أن أسلوب المعارضة اليوم في الدامور يخلق التشويش الذهني في المجتمع الداموري ويخلق الأحساس بعدم الأمان ويضرب العادات والتقاليد والعائلات، ولا يأخذ العقل البشري بعين الاعتبار، فهو يخاف، وعصي على التغيير ولا يحب الضياع، وهذا ما لم تأخذه المعارضة بالحساب حتى اليوم.

إن إستراتيجية السلطة المتبعة بعدم تلبية حاجة المجتمع الداموري الطواق الى التغيير في التعاطي، ومحاولتها وضع يدها دائماً على مشاريع الأبناء وإحتكار العمل الأنمائي يقتل المجتمع ويشنت الأجيال القادمة التي لن ترى في الدامور المكان لإطلاق مبادراتهم الفردية،

إن السياسات المتبعة أو الإستراتيجيات التي تتبعها السلطة والمعارضة هي إستراتيجيات قاتلة لمجتمعنا، وغير بناءة ولا تأخذ بالحسبان الحاجة الملحة لأن يتصالح المجتمع الداموري مع نفسه، وأن يطوي صفحة التهجير، وأن يرتقي مجدداً الى مستوى تاريخ البلدة، وأن يجد الجيل الداموري الصاعد مساحته ليعبر عن هواجسه، وأن تكون هنالك رؤية واضحة لهذه البلدة رؤية تجذب الداموري الى بلده أينما وجد حتى يضعها ضمن أولوياته الاقتصادية.

المحامي بشير عون ٢٠١٧/٧/٢٠